ISSN 2170-0796

طارق الأبواب

محمد فايز

كان يحبني في زمن الصبا، يأتيني بالغذاء من غير جهد، ويعلمني الكلام بغير قاموس ، يحبب إلي الناس دون أن أعرفهم ، يتركني بينهم بغير إلزام حتى بلغت العاشرة من عمري ، فجاءني بشير حاملا رسالة فيها الذخائر والجواهر قدمها إلي وٌوصاني بقراءة الرسالة بإمعان ثم تنفيذها بإتقان ، ولكنني وضعت الرسالة في الرفوف ، انظر إليها حينا ، وحينا آخر تتقاذفني ألاعيب الهوى ، أحب السهر واللهو والغناء ، لكن حبيبي لم يتركني ، أرسلني إلى المدينة لأتعلم فشجعني وٌوصى أساتذتي خيرا ليعلمونني العلم والأخلاق فأحبوني وقربوني منهم ، ولما بلغت العشرين من عمري جلست في غرفتي أتحسس النور المنبعث من المصباح فقلت في نفسي : أليس هناك نور آخر أنصح منك كان يحفنا مع تلك الجماعة المؤمنة الصادقة فقد تعلمت معهم الخير والحق والصدق ومجانبة اللهو ، كنت عندئذ مع حبيبي في الحقول والأشجار والجبال والآبار ، فصرت معه أتأمل صدقاته وصنائعه حتى أشرقت نفسي بالأنوار ونصحت بصيرتي ووجداني بالاعتبار، ولكنها سويعات بل سنوات لا أعرف كيف مرت في سرعة كالبرق ، حتى شارفت على سن الخامسة والعشرين بعد إكمال دراستي فبدأت أبحث عن المنصب والمال والزوجة والدار ثم اصطدمت بنكبات الدهر: لا عمل ،لا مال، لا زوجة ، لا دار ، طفت أجول في كل مكان أبحث عن من يقوتني فلم أجد ، حين ذاك ذهبت إلى الجبل المنحدر أسأل نفسي : ماذا أعمل ليس في هذه الدنيا شيء ، حينها فكرت في الانتحار ثم انتفضت مسرعا راجعا على الممر وٌقول لماذا هذا التفكير ألا تعود إلى حبيبك الآن لتطلب منه المعونة ، فذهبت إليه طارقا بابه المتين ، فقال : من الطارق ؟ قلت : العنيد المتكبر قال : وماذا تريد عندي ؟ قلت : أصابتني مصيبة الدهر لا عمل لا مال لا زوجة لا دار فقال : أيها المغرور ألم أقل لك انك ضعيف ؟ قلت : أعني وٌعطيني سلاحا أواجه به مصائب الدهر قال: سلاحي لا يعطى للمتكبرين ، سألت البواب : كيف أمر قال : اذهب إلى ذالك الباب ،باب السلع فذهبت مسرعا قلت : حبيبي أعطيني سوقا أعمل فيه ، قال : وما الثمن ؟ قلت: أي ثمن ألست الذي تعطي بغير حساب ؟ قال : أولم تعلم أنني شديد العذاب , عد لا سلعة لك عندي قلت : أيها البواب أين الطريق.. أين الباب... قال : اذهب إلى باب التجلد فطرقت مرة أخرى قال : يا مغرور إن هذا الباب طريقه طويلة شاقة أتعبت أدم ونوحا وٌيوب و أنت لا تملك من قدرهم شيئا ، فعدت مغموما قلت للبواب : أرحني إلى أقصر الطرق قال : اذهب إلى هناك, هناك باب المعذرة

فتوجهت إليه محمولا فوجدت البشير فاستقبلني بابتسامة مشرقة قائلا: مرحبا بالعنيد الجبار.قلت: يا سيدي لقد تعبت قال : أدنو أعلمك كلمات لعله يفتح لك، فدنوت منه. قال صاحب الرسالة:<< من لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا و من كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب >> . قلت : أين أتفوه بها . قال : في ظلمات الليل ، فدخلت غرفتي مناجيا : أيها الليل العسعس إن ظلماتك مثل ظلمات قلبي فأعني .قال : سأطوف على الناس لينام، عند ذلك قم فتكلم ، فقمت باكيا معتذرا على الباب وٌلح عليه ففتح وقال: هذا هو الطريق إلي، عرفت فالزم.